بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمّد، وعلى آله وصحبه والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين،

بقدر عظمة ذاتك في كل وقت وحين

أثر جريدة السياسة اليومية والأسبوعية
في
النهضة الأدبية بمصر

(رسالة ماجستير)

مقدمة من الطالب

رضا محمد فوزى نجم

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور

محمّد أبو الأنوار

والأستاذ الدكتور

عبداللطيف عبد الحليم

(أبوهمام)

المقدمة

الفـهـرس

المقدمة.....3

تمهيد: دور الصحافة فى النهضة الأدبية 8

1-حزب الأمة و"الجريدة" 12

2-السفور (1915-1925).....17

الباب الأول:

ثورة1919 وتكوين الأحزاب.....23

الفصل الأول:صحف حزب الأحرار الدستوريين

1-جريدة "السياسة" اليومية.....27

- السياسة والتجديد- وصفها وأبرز كتّابها.....32

2- جريدة "السياسة الأسبوعية" وأبرز كتّابها.....36

- تبويب "السياسة الأسبوعية".....42

الفصل الثانى:

1- صحف حزب الوفد.....45

2- أبرز صحف الوفد: البلاغ والبلاغ الأسبوعى

- وصفهما وأبرز كتّابهما.....47

الباب الثانى:

أثر السياسة والسياسة الأسبوعية فى النهضة الفكرية والأدبية

تمهيد: العوامل التى أدت للنهضة.....52

الفصل الأول:أهم القضايا الفكرية

- إلغاء الخلافة ومعركة كتاب الإسلام وأصول الحكم.....55

الفصل الثانى:

- الشك فى نسبة الكتاب إلى الشيخ على عبدالرازق.....69

1- من المؤلف الأصلى للكتاب؟.....70

2- شهادة الشيخ أحمد حسن مسلم.....71

3- تدخل د.طه حسين فى صياغة الكتاب.....74

- صورة ضوئية من شهادة الشيخ مسلم.....79

الباب الثالث:

– قضية تحرير المرأة.....81

الباب الرابع:

– معركة كتاب"فى الشعر الجاهلى"للدكتور طه حسين.....89

الباب الخامس: قضية الأدب القومى

تمهيد.....99

الفصل الأول:

أولاً: القومية المصرية وربطها بالحضارة الفرعونية.....102

ثانياً: الدعوة إلى تعلم اللغة المصرية القديمة.....107

الفصل الثانى:الدعوة إلى الأدب القومى.....115

1– البدايات.....117

2– نفى الصلة بين الأدب العربى والأدب القومى المصرى.....119

3– تصحيح المسار.....126

4– الدعوة لتأسيس الرابطة.....129

5– الترجمة واللغة ودعوة الأدب القومى.....132

6– تناقض مفهوم الأدب القومى عند قراء السياسة الأسبوعية.....136

7– مفهوم الأدب القومى.....144

8– تراجع الدعوة للأدب القومى.....145

الفصل الثالث:أثر الدعوة إلى الأدب القومى.....149

– د.هيكل والأدب القومى فى ثورة الأدب.....150

الفصل الرابع:أثر السياسة الأسبوعية على فنون الأدب المختلفة.

أولاً: الدعوة للتجديد.....158

1– التجديد فى الأسلوب الأدبى.....159

2– تشجيع الكتّاب الناشئين على التأليف.....161

3– أسباب ضعف الأدب وعلاجه.....163

4– مناصرة الأدب الجديد على القديم.....165

الباب السادس:أثر السياسة الأسبوعية على الفنون الأدبية.

الفصل الأول: النثر الفنى.....170
أولاً: فن القصص:
1- القصة والأقصوصة.....170
2- القصة المترجمة.....174
3- القصة المؤلفة.....176
4- اتجاهات القصص التى نشرت فى السياسة الأسبوعية.....177
5- فن المسرح.....180
- الأدب المسرحى بين التأليف والترجمة.....181
6- بين الشعر والنثر.....185
ثانياً: فن الشعر.....190
-ترجمة وتعريب الشعر الغربى.....193
-الشعر المنثور والشعر الحر.....196
الفصل الثانى:أثر السياسة الأسبوعية على نقد الشعر والشعراء.
1- نقد الشعراء المعاصرين.....198
2- العقل والعاطفة فى الفلسفة والشعر.....201
3- نقد الشعر بوجه عام.....203
- المقارنة بين الشعر القديم والشعر الحديث.....204
- النقد فى السياسة الأسبوعية.....205
- **الخاتمة ونتائج البحث** 208
- قائمة بأسماء الكتّاب فى السياسة الأسبوعية.....212
- أرقام الأعداد مقترنة بالتاريخ.....243
- فهرس المراجع والمصادر.....248

****

كانت فترة مابين الحربين(1914–1939) فى مصر، فترة خصيبة فى تاريخها، ونتج عنها عدد وافر من الدوريات من الصحف والمجلات السياسية والثقافية والأدبية، التى قادت حركة الفكر والأدب فى ملحمة قلمية كبرى، طموحاً إلى وضع مصر على الطريق الذى يفضى بها إلى نهضة قوية، ويرد إليها اعتبارها بين بناة الحضارة. وتطلعت الأمة المصرية إلى التحرر من ربقة الاستعمار، وساعدها على نمو ذلك الأمل بزوغ ثورة 1919م التى عبرت عن تلك الآمال والتطلعات الوطنية فى الحرية والاستقلال، إلا أن قادة الثورة حصروا جهودهم فى مشكلات الحرية السياسية، بينما نهضت الصحافة الأدبية بذلك العبء، وسعت إلى حل مشكلات الحرية الاجتماعية بكل وجوهها، وامتاز بعضها من بعض بمنهجه وأسلوبه وتخصصه، وسالت أنهار تلك الدوريات بشتى الموضوعات، واشتجرت على صفحاتها الأقلام، فى معارك وملاحم وقضايا ومنازعات وخصومات، من أجل النهوض بالأمة واستكشافاً لروحها وخصائصها.

وقد اتجهت عناية كثير من الباحثين والمهتمين، بتأريخ النهضة المصرية المعاصرة، وأثرها على الفكر والمجتمع، وبحث قضاياها ومعاركها السياسية والثقافية، وإلى أعلام كتابها، وإلى فن المقال ومنزلته بها، وقام بهذا العبء أساتذة الإعلام والصحافة الأفاضل.

أما الصحافة الأدبية فلم تظفر بعناية مماثلة، لا على أنها ديوان للنتاج الأدبى وحسب، بل على أنها من عوامل تطور النهضة الأدبية، وتوجهها إلى القضايا الفكرية والقومية والثقافية والفنية، بالرغم من وفرة دارسى الأدب الحديث وتنوع جهودهم، الذين قد يقال إنهم لا يكفون عن الرجوع إليها، ومعاودة النظر فيها، أو أن كثيراً من موادها ومحتوياتها استخرجه أصحابه من صدور الدوريات، وضموا أشتاته، وأخرجوه كتباً مستقلة. كما فعل ذلك الأساتذة العقاد والمازنى والرافعى، والدكاترة محمد حسين هيكل وطه حسين ومحمد عبدالله عنان، والشيخ محمد رشيد رضا، وغيرهم كثير. إلا أن هذه الكتب تظل بعيدة عن الرؤية الوافية الشاملة، بدون الرجوع إلى الدوريات التى نُشرت على صفحاتها، وذلك حتى نتبين تاريخ مولدها وملابسات تأليفها، وهدف الدورية من نشرها.

ومن هنا تبدو قيمة الصحافة الأدبية سجلاً دقيقاً ومرجعاً وافياً لدراسة الأدب الحديث بكافة اتجاهاته، وقضاياه، بما تشيعه من إضاءة تفسر كثيراً من نواحيه ومراميه، خاصة أنها استوعبت خلال تلك الفترة معظم مانشر من مجالات الأدب المختلفة من قصة وشعر، وترجمة

عن اللغات الأوربية، ومقال أدبى ونقدى، فضلاً عما أثارته من قضايا فكرية، ظلت ومازالت تتردد أصداؤها بين حين وآخر.

وتتناول هذه الدراسة جانباً محدوداً فى حياتنا الفكرية والأدبية فى مصر، فى فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى، من خلال صحيفتى "السياسة" و"السياسة الأسبوعية"، وخاصة الأخيرة، التى كانت حلقة فى سلسلة من الصحف ذات اتجاه معين، ومدرسة فكرية معينة، شاركت فى حركة النهضة الفكرية والأدبية الحديثة بمصر، وقد بدأت هذه السلسلة فى 9مارس من عام 1907، بجريدة "الجريدة" التى أصدرها حزب الأمة، ثم من بعدها عبرمجلة "السفور"، وانتهت بجريدة "السياسة" وربيبتها "السياسة الأسبوعية"، اللتين أصدرهما حزب الأحرار الدستوريين، وأصبحتا من أهم الدوريات فى فترة ما بين الحربين، لتأثيرهما القوى فى تطور الصحافة الأدبية عامة، وبما أضافتاه من ملامح وخصائص، مثلت فى حينها، ما يشبه الثورة فى الشكل والمضمون، مقارنة بما كانت عليه دوريات تلك الأيام.

فمن حيث الشكل، كان التجديد فى تصميم ورسم الصفحات، وإصدار صفحات متخصصة لكل فن من الفنون أو علم من العلوم، يشرف على إصدارها أساتذة متخصصون، إلى جانب استخدام الأسلوب واللفظ والعبارة السهلة البسيطة. ومن حيث المضمون بما أثير على صفحاتهما من قضايا حرية الفكر والبحث فى مجالات الثقافة والأدب المتعددة، والانطلاق بها مهما كانت الخطوط التى يقتحمها. والدعوة إلى القومية المصرية، التى أثمرت الدعوة للأدب القومى، وما اقترن بها من النزوع والتطلع القوى إلى الاستقلال، والمناداة بالحريات السياسية والاجتماعية والفردية، وتحرير المرأة، ورغم أن "السياسة الأسبوعية" كانت مثلاً للجريدة الأدبية المتخصصة التى ابتعدت عن مجال السياسة ومعاركها، فإنها لم تسلم من مناوأة قوى الاحتلال الإنجليزى وأعوانه، وأيضاً من المنافسين الحزبيين، الذين استشعروا خطر (السياسة الأسبوعية) وأثرها على القوى الوطنية فى مصر، حتى تم إيقافها ومصادرتها فى 24يناير 1931م..

وقد أخذنى الاهتمام فى بادئ الأمر بشخصية الدكتور محمد حسين هيكل، تلك القمة الفكرية العظيمة، من خلال كتبه "فى أوقات الفراغ"، و"ثورة الأدب"، و" فى منزل الوحى"، ثم روايته "زينب"، وراقنى أن أدرس أثره فى مجال الأدب، فقرأت ما قام به السابقون، الدكاترة طه وادى، وحسين فوزى النجار، وعبدالعزيز شرف، والأستاذ محمد زكى عبدالقادر، ثم الدكتور محمد سيد محمد، فى دراسته الرائدة حول " هيكل والسياسة الأسبوعية"، مما دفعنى للبحث ومحاولة الاطلاع على أعداد هذه الجريدة، لأكتشف أننى وقعت على كنز من كنوز الفكر والأدب، لا نظير لها فى صحافة أيامنا هذه، فعرضت الأمر على أستاذنا الدكتور محمد أبوالأنوار، فنبهنى

إلى أن الأمر ليس سهلاً، وطالبنى بالاطلاع على أعدادها كاملة، مع الصحيفة الأم، "السياسة" اليومية، أولاً. وتكوين رؤية عامة لمجال البحث لوضع خطته على ضوئها، فقمت بالاطلاع عليها، وأخذت جذاذات مشتتة منها، وازددت حماسة ورغبة فى سلوك طريق البحث حول: "السياسة والسياسة الأسبوعية وأثرهما فى النهضة الأدبية بمصر"، وظننت الأمر سهلاً ميسوراً، وكم كنت غريراً، فكلما تقدمت خطوة فى البحث، تيقنت من غور مائه ومشقة الغوص فيه، وكم لقيت من عنت للتيقن من الدافع لاطلاق وصف أو اتهام مرسل، فى مقال أو دراسة منشورة على صفحات هذه الصحيفة أو تلك، واستيضاح المبهم منها، لولا الدراسة الرائدة لأستاذنا الدكتور محمد أبوالأنوار "الحوار الأدبى حول الشعر"، وكتاب الأستاذ أنور الجندى "المعارك الأدبية"، وما وجدته من تعاون الزملاء بمكتبة جريدة "الأهرام". وكم أصابنى اليأس من مواصلة البحث أمام سوء الحالة التى تحفظ بها الدوريات فى دار الكتب المصرية، وكم صدمتنى صعوبة الاطلاع لتمزق أوراق تلك الصحف، وإهمال العاملين فى تداولها بين أيديهم، وبعضها كاد يقضى عليه البلى، ولم يعد الاطلاع عليه ميسوراً، رغم أنها تحمل ثمرة فكر وعلم أبناء مصر الذين حملوا عبء النهوض بالأمة، وصنعوا تاريخها الحديث، وكان كل واحد منهم زعيماً بين جوانحه يقود الأمة بأمل صنع مستقبلها غير عابئ بما يلاقيه من مشاق وصعاب فى سبيل ذلك، وصنعوا معاً موجة عالية جارفة، وكان الأمل ان تستمر تلك الموجة للصعود والارتفاع ليذهب أمامها زبد البحر وأوشابه. ولولا ظروف عرضت واستقرت لكان لنهضة مصر شأن أى شأن، والأمل معقود فى إعادة طبع ونشر ودرس تلك الأسس، والأخذ بعوامل النهوض للقيام مرة أخرى، من تلك الكبوة التى تردت فيها صحافتنا من تدن فى الأسلوب وانحراف فى اللغة نحو العامية والابتذال فيها، وهى إحدى القضايا التى حمل لواء المعركة فيها أعلام مفكرى السياسة الأسبوعية، منذ قرابة المائة عام، ثم تنبهوا لخطورتها فتراجعوا عنها وصححوا مسارهم، ويعود اليوم أبناؤهم لتطبيقها فى صحف أيامنا هذه من جديد، غير عابئين بعظم الخطر الذى يقدمون عليه.

وقد تنوعت مصادر هذه الدراسة، فكان النوع الأول: هو صحيفتنا نفسها، وقمت بعمل مسح شامل لأعدادها، وجمعت المقالات والنصوص التى تمثل القضايا المهمة لتحليلها وإبرازها، مما تطلب المثابرة والدقة، والصبر على مشقة البحث.

وكان مصدرى الثانى من مصادر هذا البحث: هو الكتب التى ألفت عن هذه الفترة سواء الكتب التى تناولت تاريخ هذه الفترة بوجه عام، أم المتخصصة فى نواح سياسية أو اجتماعية أو دينية أو أدبية ونقدية أو غيرها. وسواء لمن عاصروا هذه الفترة أم جاءوا بعدها وألفوا عنها.

والنوع الثالث من مصادرى: هو الصحف والدوريات المختلفة التى دخلت فى معارك فكرية مع جريدتنا، سواء المؤيدة لها أم كانت معارضة لها. لكى نلم بالقضية التى دارت حولها المعارك والجدال من كل الجوانب والأطر. وقد أيقنت – مصداقاً لقول أستاذنا الدكتور محمد أبوالأنوار– أن صلة المؤرخ الحديث بالدوريات ضرورة لا مفر منها، وهى بطبيعتها كنز جواد من أى النواحى أتيته أعطاك.

ودراستنا هذه تستعرض أهم القضايا التى تناولتها جريدتنا، وترصد تطور كل منها. وذلك فى ستة أبواب:

الباب الأول : تناول بصورة موجزة دور الصحافة فى النهضة الأدبية بمصر من مطالع القرن العشرين وحتى ثورة 1919م. ثم حزب الأمة وصحيفته الجريدة، ومن بعدها مجلة السفور. وتكوين الأحزاب وصحفها بعد ثورة 1919م، حزب الأحرار الدستوريين وصحيفته السياسة اليومية، ثم السياسة الأسبوعية، باعتبارها أول ظهور للصحف ذات الصفحات والأبواب المتخصصة، وحزب الوفد وأبرز صحفه البلاغ والبلاغ الأسبوعى.

وتناول الباب الثانى العوامل التى أدت للنهضة فى إيجاز، والفصل الأول: أهم القضايا الفكرية والأدبية، فكان أخطرها على الإطلاق معركة كتاب الإسلام وأصول الحكم للشيخ على عبدالرازق، وقد حاولنا تقصى أطرافها ونتائجها، من خلال الكتاب ومعركته، والصحف المتابعة للمعركة، والقضايا الفكرية التى أثارها، وفى الفصل الثانى، الدراسات والكتب المعاصرة والحديثة للعلماء والمتخصصين، التى تناولته بالرد والتفنيد، باختلاف المنهج فى كل منها، ثم فى الفصل الثالث ما أثير من الشك فى نسبة الكتاب للشيخ على عبدالرازق، وإثبات دور الدكتور طه حسين فى تأليفه ونسبته إليه.

وتناول الباب الثالث، أهم القضايا الفكرية والاجتماعية، مثل قضية تحرير المرأة، وتربية ورعاية الطفل، وإصلاح التعليم، والاهتمام بالدين، وإصلاح الأزهر، وتقليد الأوربيين.

أما الباب الرابع فتناول أبرز معارك وقضايا الفكر والأدب وأهمها حتى الآن، قضية كتاب فى الشعر الجاهلى للدكتور طه حسين، وما دار حولها من صراع عنيف، لا يقل ضراوة عن معركة الكتاب السابق، ففى الفصل الأول عرضت محتوى الكتاب والجهات التى وقفت لنقده

وتفنيد قضاياه، والفصل الثانى تناول المعركة على صفحات الصحف المصرية، ثم نقد د.محمد حسين هيكل لطه حسين ومنهجه فى كتابه فى الأدب الجاهلى، ثم فى الفصل الثالث القضايا الفرعية التى نتجت عن المعركة. وفى الفصل الرابع الدراسات وكتب العلماء المتخصصين المعاصرة والحديثة حول الكتاب. واختلاف تناول كل واحد منهم للكتاب، ووقفنا أمام مدى تراجع د.طه حسين عن آرائه عملياً من خلال مارصده أستاذنا الدكتور محمد أبو الأنوار فى كتابه "قضايا الأدب الجاهلى"، ثم ناقش البحث فى الفصل الخامس: تأثر د.طه حسين فكرياً بأساتذته المستشرقين.

وفى الباب الخامس تناول البحث قضية الأدب القومى، والتطور الذى طرأ عليها فى الفصلين الأول والثانى. حتى انتشرت الدعوة للأدب القومى وتأسيس الرابطة وتطورها حتى انتهت إلى التراجع والخفوت. ودرس الفصل الثالث أثر الدعوة إلى الأدب القومى ودعوة د.محمد حسين هيكل، من خلال كتابه ثورة الأدب.

وفى الباب السادس أثر السياسة الأسبوعية على فنون الأدب المختلفة والدعوة للتجديد، وفن القصة وفن الشعر التقليدى والمترجم والمعرّب والمنثور والحر، والفصل الثانى منه تناول أثرها على نقد الشعر والشعراء. ثم الخاتمة وأهم نتائج البحث، وتضمنت التوصيات المتصلة به. وأرفقنا بها قائمة بأسماء الكتّاب الذين ساهموا بأقلامهم فى "السياسة الأسبوعية" وأرقام الأعداد التى تضمنت نتاجهم الفكرى والأدبى.

ويطيب لى فى هذا المقام أن أتوجه بخالص الشكر إلى أساتذتى الأفاضل: أستاذنا الدكتور محمد أبوالأنوار الذى أعجز عن إيفائه حقه وقدره علىّ وعلى هذا البحث الذى هو ثمرة من ثمار فكره وتوجيهه ونصحه وإرشاده، وحدبه على الطالب حدب الوالد الرحيم بأولاده، طوال فترة البحث، ولم يبخل بوقته الثمين وعلمه الغزير وتوجيهه الأمين، كلما حزبنى أمر أو ضاقت بى السبل، أثناء تحقيق قضية أو توثيق شهادة أوإبداء رأى. والأستاذ الفاضل الدكتور عبداللطيف عبدالحليم (أبوهمام) الذى تفضل بالإشراف على الرسالة مع أستاذنا الدكتور محمد أبوالأنوار، فكان مثالاً للعطاء العلمى بلا نظير، وأعطانى من علمه وتوجيهه ما سأظل أذكره له دائماً.

والشكر لله من قبل ومن بعد فمنه التوفيق والسداد، والحمد لله رب العالمين.

تمهيد

دورالصحافة فى النهضة الأدبية من مطالع القرن العشرين حتى قيام ثورة1919

كانت الصحافة بالنسبة للكثير من الشعراء والكتاب والنقاد والمفكرين المجال الوحيد المتاح لنشر إنتاجهم، وخاصة الدوريات التي ظهرت في أخريات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وما تلاه إلى أيامنا هذه. وعلى صفحات هذه الدوريات بدأت المعارك الأدبية الكبيرة

والخطيرة . كما رصدها أستاذنا الجليل الأستاذ الدكتورمحمد أبو الأنوار(1) . ونمت معها الحياة المصرية من الموات لتصل إلى المدى الواسع الذى انتهت إليه.

لذا فإن التأريخ للأدب العربي الحديث – وللحياة الفكرية والسياسية – يجب أن يعتمد البحث فيه أساساً على الدوريات من مجلات وصحف وجرائد، تلك التى استوعبت الزخم الكبير من إنتاج الأدباء المحدثين. ومن أهم تلك الصحف والدوريات ذات الأثر جريدة (السياسة)، وربيبتها(السياسة الأسبوعية) ولقد اعترف بهذا الدور الذى لعبته السياسة والسياسة الأسبوعية، أكثر من باحث ودارس، فقال المستشرق هاملتون جب: أن هنالك عاملين ساعدا على تطور الحركة الأدبية الجديدة، الأول إعادة تنظيم الجامعة المصرية بإدارة أحمد لطفى السيد. والثانى هو إنشاء حزب الأحرار الدستوريين وجريدة "السياسة" عام 1922". فبفضل هاتين المؤسستين اللتين كانتا وثيقتى الصلة، تسنى لقوىالتربية والإصلاح المبعثرة أن تتجمع وتتعاون، وأن يكون لها بفضل ذلك كله تأثير على الرأى العام المصرى، يزداد يوماً بعد يوم"(2) وقال الدكتورعبد اللطيف حمزة فى معرض حديثه عن "السياسة" وخصومها أن "السياسة" بدت منذ نشأتها" كأنها صحيفة الطبقة المعروفة بحرية التفكير، وبدت صحف "الوفد المصرى" كأنها صحف الغوغاء والعامة..."(3) وقال الأستاذ أنور الجندى إن "السياسة" كانت أول صحيفة مصرية حررت على أحدث أصول الفن الصحفى، وأنها رفعت من شأن الفكر والأدب...(4)

أما السياسة الأسبوعية فأصبحت – كما يقول الشيخ مصطفى عبدالرازق – " في عام واحد ركناً من أركان نهضتنا الفكرية وأملاً من آمال حياتنا العقلية" (5)، فى كلمته في الاحتفال

1- راجع : د. محمد أبو الأنوار، الحوار الأدبى حول الشعر، ط الآداب، ص 17.

2- هاملتون جب: دراسات فى حضارة الإسلام:ت: إحسان عباس وآخرين، ط بيروت، سنة1964، ص352.

3- عبد اللطيف حمزة: الصحافة المصرية فى مائة عام،ص 107.

4- أنور الجندى: "الصحافة السياسية فى مصر منذ نشأتها إلى الحرب العالمية الثانية"، ص241.

5- جريدة السياسة الأسبوعية في 1927/3/26.

بمرور عام على إصدار السياسة الأسبوعية، محدداً الدور الكبير الذي لعبته في إثراء حياتنا الثقافية، ليس في مصر وحدها، بل في عالمنا العربي والإسلامي. ولبحث هذا الدور وأثره، لابد من الكشف عن المؤثرات التاريخية في مجالاتها المختلفة التي تعتبر جذوراً ممتدة سياسياً واجتماعياً وثقافياً، كما كانت عوامل نمو وتحول هيأت لميلاد الصراع القوى فى الحياة الفكرية والأدبية، حتى يتبين للباحث كيف اكتسبت " السياسة والسياسة الأسبوعية" حضورهما القوى لدى الصفوة من القراء والمثقفين والمتابعين.

لقد كانت " السياسة" و"السياسة الأسبوعية" حلقة من حلقات تيار فكرى جديد، ساعدت على نموه الأجواء السياسية فى العقد الثانى من القرن العشرين وما تلاه، خاصة بعدما وضع الاحتلال الإنجليزي قدمه على أرض مصر، وأخذ يعد قواعده للاستقرار بها، بعد انكسار ثورة عرابى عام 1881م.وانتقال يد الحكم الفعلية إلى دار المعتمد البريطاني اللورد كرومر"الذي بدأ منذ وصوله إلى البلاد سنة 1883م، يتساهل في حرية الصحافة، ولم يتمسك بتطبيق قانون المطبوعات الذي صدر في عهد الخديو توفيق سنة 1881م، ولم يلغه أيضاً"(6). فقد كان يعتقد أن حرية الصحافة وحرية الخطابة، هما صمام الأمان للتعبير عن الشعور الذي قد يتخذ بدونهما مظاهر أخرى خطيرة.

وقد اتخذ كرومر الصحافة أداة إرهاب، حيث يقول:"إن حرية الصحافة في بلاد كمصر تستلزم من رجال الحكومة أن يجمعوا بين صفتين متضادتين نوعاً، وهما:أولاً أن يحترموا آراء الجرائد، إذا كانت ترمى إلى غرض سام، وتسعى إلى تأييد آرائها بالدليل القاطع، كما هو الغالب. وثانياً أن يكون لهم من الشجاعة الأدبية قدر يكفى لمقاومة الجرائد التي ترمى إلى غاية غير شريفة، وتحاول تأييد أقوالها بأدلة لا تستحق الالتفات أحياناً". و يضيف إلى ذلك "أنه فضلاً عما لحرية الجرائد من الفائدة الإيجابية فلا ريب أن الصحف تمنع بعض الضرر، فإن خوف التشهير على صفحاتها يمنع كثيراً من الشرور ويقلل العيوب"...لذلك أطلقت حرية الصحافة في الكلام عن عيوب المجتمع وآفاته ووسائل علاجه. وانتشرت الصحافة وراجت وتعددت المطابع، حتى بلغت الصحف أرقى أدوارها في سنة 1892م، وسبقت مصر بها سائر الأمصار، "بينما كان عدد الصحف عندما أتى كرومر لا يزيد على بضع وعشرين صحيفة فإنه لم يأت عام 1903م حتى كان في مصر 176 صحيفة يخص

6- د. محمد أبو الأنوار، مرجع سابق،ص 42

القاهرة منها 133 مابين جريدة ومجلة"(7)...

وقد ركزت الصحافة المصرية على قضية واحدة هي: النظر في مصلحة مصر، ولم تكن تهمها الدول الأخرى في شئ، رغم ولاء مصر وتبعيتها للدولة العلية العثمانية. فلما احتل الإنجليز مصر، وأطلقت حرية الصحافة، طرح على بساط البحث كثير من المسائل واحتد النقاش حول بعضها، وتولدت مسألة الاحتلال والجلاء، وأثيرت قضايا المصري والعثماني، ودعوى مصر للمصريين، التي يرى الباحث أنها تمثل بداية لتجزئة وتمزيق الدولة العلية، حيث

قابلتها وعاصرتها وتبعتها دعاوى أخرى في أنحاء مختلفة من أقطارها مثل فرعونية مصر، وفينيقية سوريا وآشورية العراق، سعياً إلى ترسيخ الفرقة الإقليمية بين الناس، وتهيئتهم لتقبلها كأمر واقع لا فكاك منه. فلا يرى المصري" شيئاً يربطه بشئ من البلاد التي تحيط به ، سوى ظل باهت من الروابط الدينية واللغوية التي فرضت عليه فرضًا

... ثم يرى مرده كله إلى مصر وحدها، وإلى تاريخها القديم في الآباد البعيدة، وهو تاريخ الفراعنة، الحافل بالآثار القائمة التي يأتي السائحون من كل أوب وصوب لرؤيتها أو دراستها"(8).

وبرزت بين تلك التيارات طائفتان متميزتان تغاير إحداهما الأخرى: طائفة تدعو إلى الأخذ بأساليب الحضارة الغربية، وطائفة أخرى تدعو إلى الاحتفاظ بتقاليدنا الإسلامية والشرقية. فانقسمت الصحف أمامها، بعضها لمصر والدولة العلية العثمانية ضد الإنجليز، وبعضها لفرنسا ضد الإنجليز، تبعاً لانتمائها الثقافى والفكرى. وبعض آخر للاحتلال الإنجليزي يؤازره ويقنع الناس به ويدافع عنه...

وبدأت موجة من النشاط السياسي الجديد المناوئ للاحتلال والتغريب، وظهر جلياً فيما تناولته ونشرته الصحف، كما ظهر أثره بين قرائها المصريين، الذين رأوا أن الاحتلال هو أصل البلاء وأن مصر لن تصح لها نهضة إلا بجلاء العدو الجاثم على أرضها المتحكم في أرزاق أهلها وفى مصائرهم، والذي يعترض كل حركة حقيقية تهدف إلى النهضة. ورأوا أن الجهود يجب أن تنصرف إلى محاربته، فإذا حققت هدفها من الجهاد بإجلائه فكل شئ بعد

7- المرجع السابق: ص 42، ود.سامى عزيز، الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزى: ص 79-80. وجورجى زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية 58/4، وعمر الدسوقى، في الأدب الحديث 67/2، ود.عبد اللطيف حمزة، الصحافة المصرية في مائة عام، ص 63.

8- محمود محمد شاكر، أباطيل وأسمار، ص 261، ط الخانجى. وراجع أيضاً: محمد صبرى السوربونى، نشأة الروح القومية المصرية، ترجمة ناجى رمضان عطية، المجلس الأعلى للثقافة، سنة 2006م.

ذلك سهل يسير... فاتجه"كرومر" أمام ذلك إلى تعضيد فكرة إنشاء الأحزاب لتستهلك الجهود الصحفية والوطنية.

فكان من أبرز الأحزاب . حينذاك . التي ولدت من رحم الصحف، (حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية) وصحيفته "المؤيد" وشيخه العصامي على يوسف، شيخ الصحفيين في زمانه ورمز الصحافة المصرية كلها في عصره، الذي كان ظهور جريدته المؤيد – في أول ديسمبر 1889م – خطوة كبيرة في الصحافة الوطنية، لبت حاجة الوطنيين المصريين

الممتعضين من ممالأة بعض الصحف للاحتلال أو للدول الأجنبية الأخرى، كما" كان الاعتدال خطأً واضحاً في صحيفته، إذ كانت تعتز بكل ما هو عربي وإسلامي، وترحب في الوقت نفسه بكل جديد مفيد نافع لا يعارض مقدساتنا"(9).وأصبحت صحيفته مجالاً للأقلام الوطنية الناشئة في البيئة المصرية. ومنهم مصطفى كامل – الذي ظهر في ميدان الجهاد الوطني سنة 1894م، بعد حصوله على إجازة الحقوق – وكان أحد كتابها المعروفين، وإن لم يكن من أعضاء تحريرها. وذاع أمرها واشتد ساعدها، وعالجت الموضوعات المصرية والإسلامية في مقالات طويلة جداً، كما نشرت بحوثاً عن الاستعمار أياً كان لونه أو مداه..(10)

وكان لـ (الحزب الوطني) صحيفته"اللواء"– التي صدرت في 2 يناير 1900م– وزعيمه مصطفى كامل، الذي عمل على إذكاء نار الكراهية للاحتلال الإنجليزي، وجالد الاستعمار، وربط في مقالات لوائه بين الوطنية والدين، ونفّرمن حركة التغريب، ودافع عن الدين وحرماته، وذاد عن اللغة العربية، وفضح خطة الإنجليز في القضاء عليها، وهاجم" سعد زغلول" بسببها حين وزِّر للمعارف سنة 1906م. وزاد قدره في عيون المصريين، إذ استطاع مصطفى كامل بقلمه في مصر والخارج عزل كرومر، عميد الاحتلال، بعد أربعة وعشرين عاماً من الكفاح المتصل.

وربط صحفيو" المؤيد" و"اللواء" ومعهم الشيخ على يوسف ومصطفى كامل، بين حرية مصر واستقلالها، وحرية تركيا وآمالها، وتغلبت النزعة الدينية على اتجاهاتهم وميولهم.

9– راجع د. محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية 234/1-235، و د. محمد أبو الأنوار، مرجع سابق، ص 42 وما بعدها، و د. عبد اللطيف حمزة، المقالة الصحفية 104/4، وجورجى زيدان، مصدر سابق، 58/4.

10– د. محمد أبو الأنوار: مرجع سابق، ص 40، ود.إبراهيم عبده: تطور الصحافة المصرية، ص 153– 176،وعبد الرحمن الرافعى: مصطفى كامل، ص43، وص 186 وما بعدها.

ويلاحظ – أيضاً– على الصحيفتين، أن أساطين العاملين فيهما كانوا جميعاً من أبناء المدرسة الصحفية القديمة، حديثي السن منهم أو الطاعنين فيها، الدارسين للثقافة الغربية أو العالمين بآداب العرب وعلومهم وحدها، كما كانتا تتقبلان الكتابة بأقلام الناشئين، ولكنهما– كما يقول عباس العقاد– "يقصرانها على الناحية السياسية، ولا يرحبان بالكتابة الأدبية إلا إذا كانت بأقلام الشعراء والكتاب النابهين من طراز شوقي وحافظ ومطران والمويلحى والمنفلوطي، وأمثالهم بين أدباء الجيل المتقدم"(11).